



الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أنصاري القرطبي

الجزء الثامن عشر

مصدرة عن طبعة دار الكتب

الناشر
دار الكتب العربية للطباعة والنشر
القاهرة
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

المكتبة العربية

تصدرها

وزارة الثقافة

الموسسة البصرية العامة للنشر والنشر

بالاشتراك مع

الجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّمْسُ أَشْرَقَ نُورُهَا . تَسَاوَلْتُ مِنْهَا حَاجَسْتِي بِمَعْنَى
وَقَالَ السُّدِّيُّ وَالْحَكَمُ : « بِالْبَيْتَيْنِ » بِالْحَقِّ . قَالَ :
« تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْبَيْتَيْنِ » .

أَيُّ بِالْإِسْتِحْقَاقِ . وَقَالَ الْحَسَنُ : لَقَطْنَا يَدَهُ الْبَيْتَيْنِ . وَقِيلَ : الْمَعْنَى لَقِضْنَا بَيْنَهُ مِنْ
التَّصَرُّفِ ؛ قَالَ تَفَطَّوْهُ . وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ : إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ نَجَحَ مَخْرَجُ الْإِذْلَالِ
عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي الْأَخْذِ بِيَدِ مَنْ يَمَاقِبُ . كَمَا يَقُولُ السُّلْطَانُ لِمَنْ يَرِيدُ هَوَانَهُ : خُذُوا يَدَيْهِ .
أَيُّ لِأَمْرِنَا بِالْأَخْذِ بِيَدِهِ وَبِالْفَتَا فِي عِقَابِهِ . (ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) بِمَعْنَى نَبَاطِ الْقَلْبِ ؛
أَيُّ لِأَهْلِكَاهُ . وَهُوَ عِرْقٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْقَابُ إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
وَكَثَرُ النَّاسِ . قَالَ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَجَلَّتْ رَحْلِي . عَرَابَةٌ فَأَشْرَفِي بِدَمِ الْوَتَيْنِ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : هُوَ حَبْلُ الْقَلْبِ الَّذِي فِي الظَّهْرِ وَهُوَ النِّخَاجُ ؛ فَإِذَا انْقَطَعَ بَطَلَتِ الْقُوَى
وَمَاتَ صَاحِبُهُ . وَالْمَوْتُونَ الَّذِي قُطِعَ وَتِينُهُ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : إِنَّهُ الْقَابُ وَمَرَاقَهُ وَمَا يَلِيهِ .
قَالَ الْكَلْبِيُّ : إِنَّهُ عِرْقٌ بَيْنَ الْعِلْبَاءِ وَالْخَلْقُومِ . وَالْعِلْبَاءُ : عَصَبُ الْعُنُقِ . وَهِيَ عِلْبَاوَانُ بَيْنَهُمَا
يَنْبُتُ الْعِرْقُ . وَقَالَ عِكْرَمَةُ : إِنَّ الْوَتِينَ إِذَا قُطِعَ لَا إِنْ جَاعَ عَرَفَ ، وَلَا إِنْ شَبِعَ عَرَفَ .
قَوْلُهُ تَعَالَى : فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكْرَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) « مَا » تَقَى وَ « أَحَدٌ » فِي مَعْنَى الْجَمْعِ ،
فَلِذَلِكَ نَعْنَاهُ بِالْجَمْعِ ؛ أَيْ فَمَا مِنْكُمْ قَوْمٌ يَحْجِزُونَ عَنْهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِي » هَذَا جَمْعٌ ، لِأَنَّ « بَيْنَ » لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى اثْنَيْنِ فَمَا زَادَ . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَمْ يَحِلَّ الْفَنَاءُ لِأَحَدٍ سِوَايَ الرُّسُلِ قَبْلَكُمْ » . لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ . وَ « مِنْ » زَائِدَةٌ .

وَالْحِجْزُ : الْمَنْعُ . وَ « حَاجِزِينَ » يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِأَحَدٍ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا ذَكَرْنَا ؛ فَيَكُونُ
فِي مَوْضِعِ جَزٍّ . وَالْخَبَرُ « مِنْكُمْ » . وَيَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ « مِنْكُمْ » مُلْتَفًى ،
وَيَكُونُ مُتَعَلِّقًا بـ « حَاجِزِينَ » . وَلَا يَمْنَعُ الْفَصْلُ بِهِ مِنْ انْتِصَابِ الْخَبَرِ فِي هَذَا ؛ كَمَا لَمْ يَمْنَعِ
الْفَصْلُ بِهِ فِي « إِنْ فِيكَ زَيْدًا رَاغِبٌ » .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِنَّهُ) بِمَعْنَى الْقُرْآنِ (لَنَذِكْرَةٌ لِّلَّتَّقِينَ) أَيْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ .
وَنَظِيرُهُ : « فِيهِ هُدًى لِّلَّتَّقِينَ » عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ أَوَّلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِهَذَا صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَسَلَامٌ ؛ أَيْ هُوَ تَذَكُّرٌ وَرَحْمَةٌ وَنَجَاةٌ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَاذِبِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾
قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ) قَالَ الرَّبِيعُ : بِالْقُرْآنِ . (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ)
بِمَعْنَى التَّكْذِيبِ . وَالْحَسْرَةُ : النَّدَامَةُ . وَقِيلَ : أَيْ وَإِنْ الْقُرْآنَ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ مَنْ آمَنَ بِهِ . وَقِيلَ : هِيَ حَسْرَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى مُعَارَضَتِهِ عِنْدَ
تَحْدِيثِهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ . (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ) بِمَعْنَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ نَزَلَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَجَلٍ ؛ فَهُوَ لَحَقُّ الْيَقِينِ . وَقِيلَ : أَيْ حَقًّا يَقِينًا لِيَكُونَ ذَلِكَ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
فَعَلَى هَذَا « وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ » أَيْ لَتَحْسُرَ ؛ فَهُوَ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى التَّحَسُّرِ ، فَيَجُوزُ تَذَكُّرُهُ . وَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِكَ : لَعَيْنُ الْيَقِينِ وَمَعْصُ الْيَقِينِ . وَلَوْ كَانَ الْيَقِينُ نَعْمًا لَمْ يَحْزَنْ
بِإِضَافَةِ إِلَيْهِ ؛ كَمَا لَا يَقُولُ : هَذَا رَجُلٌ الظَّرِيفُ . وَقِيلَ : أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ لِاخْتِلَافِ
اللَّفْظَيْنِ . (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أَيْ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ . وَقِيلَ : أَيْ تَزِدْ اللَّهَ
عَنِ السُّوءِ وَالْفَقَائِصِ .

والخاطبون ، بإبدال الهمزة ياء ، وهـ الخاطون ، بطرحها . وعن ابن عباس : ما الخاطون ! كلنا نخطو . وروى عنه أبو الأسود الدؤلي : ما الخاطون ؟ إنما هو الخاطئون . ما الصابون ! إنما هو الصابئون . ويجوز أن يراد الذين يقضون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله عن وجل .

قوله تعالى : **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۚ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝**

قوله تعالى : **(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)** المعنى أقسم بالأشياء كلها ما ترون منها وما لا ترون . و « لا » صلة . وقيل : هو رد لكلام سبق ، أى ليس الأمر كما يقوله المشركون . وقال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال : إن محمداً ساحر . وقال أبو جهل : شاعر . وقال عتبة : كاهن ، فقال الله عز وجل : **(فَلَا أُقْسِمُ)** أى أقسم وقيل : « لا » ها هنا نفي للقسم ، أى لا يحتاج في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك ، وعلى هذا بجوابه بكواب القسم . **(إِنَّهُ)** يعنى القرآن **(لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)** يريد جبريل ، قاله الحسن والكلي . ومقاتل . دليله : **« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ۚ »** . وقال الكلي أيضاً والفني : الرسول ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لقوله : **« وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ ۚ »** وليس القرآن قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما هو من قول الله عز وجل ونسب القول إلى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به ، كقولنا : هذا قول مالك .

قوله تعالى : **وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ۚ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ ۝**

قوله تعالى : **(وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ)** لأنه مبين لصوت الشعر كلها . **(وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ)** لأنه ورد بسبب الشياطين وشتمهم فلا يزلون شيئاً يحمل من يسبهم . و « ما » زائدة في قوله : **« قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ »** ، **« قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ »** ، والمعنى : قليلاً تؤمنون وقليلاً تدكرون . وذلك القليل من إيمانهم هو أنهم إذا مثلوا من خلقهم قالوا : الله . ولا يجوز أن تكون « ما » مع الفعل مصدرًا وتنصب « قَلِيلًا » بما بعد « ما » لما فيه من تقديم الصلة على الموصول ، لأن ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر . وقرأ ابن محيصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب « مَّا تُوْمِنُونَ » ، و « يَدَّكُرُونَ » بالياء . الباقون بالياء لأن الخطاب قبله وبعده . أما قبله فقوله : **« تَبْصِرُونَ »** وأما بعده : **« قَلِيلًا مِّنْكُمْ »** الآية .

قوله تعالى : **تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝**

قوله تعالى : **(تَنْزِيلٌ)** أى هو تنزيل . **(مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)** وهو عطف على قوله : **« إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ »** ، أى إنه لقوله رسول كريم . وهو تنزيل من رب العالمين .

قوله تعالى : **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝**

قوله تعالى : **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ)** « تقول » أى تكلف واتى بقول من قبل نفسه . وقرئ « وَلَوْ تَقُولُ » على البناء للقول . **(لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)** أى بالقوة والقدرة ، أى لأخذناه بالقوة . و « من » صلة زائدة . وعبر عن القوة والقدرة باليمين لأن قوة كل شيء في يمينه ، قاله القتي . وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد . ومنه قول الشماخ :

إذا ما راية رفعت تجيد • تلقاها عصابة باليمين

أى بالقوة . عصابة أسم رجل من الأنصار من الأوس . وقال آخر :

(١) هو مرارة بن أوس بن قيس الأوسي الحارثي الأنصاري . من سادات المدينة الأجواد المشهورين . أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسلم صغيراً وتوفي بالمدينة نحو سنة ستين .